الفصل السابع

أحمد لطفى السيد
(التفكير التنويرى)

١ – نشأته.. وحياته
٢ – كتبه
٣ – آراؤه وأفكاره
أ – فى التعليم والتربية
ب – فى المرآة
جـ – فى الثقافة والفلسفة
د – فى السياسة
٤ – ملاحظات نقدية

أحمد لطفى السيد Ahmed . L. El – Sayed
(١٨٧٢ – ١٩٦٣م)

تمهيد:

أستاذ الجيل، ينتمى إلى مدرسة الإصلاحيين فى مصر خلال القرن العشرين الذى وضع نواتها جمال الدين الأفغانى ثم محمد عبده.

من أوائل أعلام التنوير فى مصر بعد رفاعة الطهطاوى. ساهم فى وضع البذرة الأولى فى صرح الصحافة المصرية، كما ساهم أيضا فى إنشاء الجامعة المصرية التى فتحت الآفاق أمام المصريين للتعليم الجامعى فكان مديرا لها، ثم أصبح وزيرا للمعارف (التربية والتعليم الآن).

ساند بكل قوة قاسم أمين فى دعوته إلى تحرير المرآة المصرية، بل وأكثر من ذلك، ساعده فى تنفيذ دعوته فى الواقع عندما فتح أبواب الجامعة المصرية للمرأة المصرية.

كما ساهم أيضا فى إنشاء مجمع اللغة العربية، وكذلك فى إنشاء دار الكتب، وكان له نشاط إيجابى وفعال فى السياسة والفلسفة والثقافة.

من هو أحمد لطفى السيد، الذى يطلق عليه بحق أستاذ الجيل.. واحد من رواد النهضة المصرية والتقدم، والتنوير، والحركة الوطنية ويكفيه وطنيته عندما قال: مصر للمصريين.

١ - نشأته وحياته:

ولد أحمد لطفى السيد فى ١٥ يناير عام ١٨٧٣م فى قرية «برقين» مركز السنبلاوين وتبعد حوالى ٢٥ كيلومترا جنوب شرق مدينة المنصورة عاصمة محافظة الدقهلية.

كان والده اسمه «السيد باشا أبو على» عمدة القرية، حافظا للقرآن الكريم، عرف بشخصيته المهيبة، وقوة شكيمته، وعدالته مع أهل قريته، بل وأكثر من ذلك عطفه عليهم.

فى الرابعة من عمره، أدخله والده كتاب القرية، وقضى فيه حوالى ست سنوات تعلم فيها القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وكان والده يرغب فى إدخاله الأزهر الشريف، ولكنه ذهب إلى مدرسة المنصورة الإبتدائية بناء على نصيحة أحد أصدقاء والده وكان ذلك عام ١٨٨٢م.

بعد ثلاث سنوات قضاها فى مدرسة المنصورة الإبتدائية حيث أتم تعليمه الإبتدائى بها، انتقل إلى القاهرة للالتحاق بالمدرسة الخديوية الذى بقى بها حتى حصل على «البكالوريا» (الثانوية العامة الآن) فى عام ١٨٨٩م.

فى عام ١٨٨٩م التحق بمدرسة الحقوق، وكانت مدة الدراسة بها فى ذلك الوقت خمس سنوات ويدرس فيها إلى جانب العلوم القانونية علوما أدبية وقواعد النحو والصرف وتفسير القرآن الكريم والمنطق.

وكان أحمد لطفى السيد وهو طالب فى مدرسة الحقوق يحب الكتابة فى الصحف، فقام بالكتابة فى جريدة المؤيد من خلال ترجمة البرقيات التى ترد اليها من الخارج. ثم قام بإنشاء «مجلة التشريع» بالأشتراك

مـع المغفور لهم إسماعيـل صدقى، وإسماعيل الحكيـم، وعبد الخالق ثروت وغيرهم.

فى صيف عام ١٨٩٣م وكان لا يزال طالبا فى مدرسـة الحقوق سـافر إلى إستانبول، والتقى هناك بصديقه إسماعيل صدقى وكان الخديو عباس حلمى الثانى يزور إسـتانبول فى ذلك الوقت، و قد عاد إسماعيل صدقى إلى مصـر، فـى حين بقى أحمد لطفى السـيد فى اسـتانبول طوال إجازة الصيـف حيث تقابل مع جمال الدين الأفغانى الذى بقى إلى جانبه يتعلم منه ويتتلمذ على يديه. فتعلم على يديه السياسة ومارسها واشتغل بها.

فى عام ١٨٩٤م أتم دراسـة الجامعة وحصل على ليسانس الحقوق. وتم تعيينه فى النيابة مساعدا ثم وكيلا للنيابة عام ١٨٩٦م.

بعد ذلك سـافر إلى جنيف للدراسـة وتقابل مع الشـيخ محمد عبده وسـعد زغلول وقاسـم أمين. ثم عاد إلى مصر واسـتقال مـن منصبه عام ١٩٠٥م، واشـتغل بالسياسة، و شارك فى تأسيس حزب الأمة. ثم تولى رئاسـة تحرير صحيفة «الجريدة» من عـام ١٩٠٦م وحتى عام ١٩١٤م ثـم عاد إلى خدمـة القضاء. وفى عام ١٩١٥م تم تعينه مديرا لدار الكتب المصرية حتى عام ١٩١٨م.ثم عين فى عام ١٩٢٥م مديرا للجامعة المصرية فوزيـرا للمعارف عـام ١٩٢٨م، ثم عاد عـام ١٩٣٠م إلى إدارة الجامعة المصرية. ثم استقال عام ١٩٣٢م. وفى يوليو عام ١٩٣٨م عاد للمرة الثالثة مديراللجامعة. وفى عـام ١٩٤٠م تم تعيينه عضوا بمجمع اللغة العربية فرئيسـا له مـن عام ١٩٤٥م وحتى عـام ١٩٦٣م. فى عام ١٩٤٦م عين وزيرا للخارجية فنائبا لرئيس الوزراء وعضوا بمجلس الشيوخ. نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية عام ١٩٥٨م.

يقـال عنه أنه رفض منصب رئيـس الجمهورية بعد أن خلا المنصب باسـتقالة اللـواء محمد نجيب الذى عرض عليه بنفسـه المنصب، وكان قراره هذا نابعاً من نفسه حيث رأى أن رجال الثورة مجموعة من الشباب بدأوا الشوط ويجب أن يسيروا فيه إلى النهاية. وكان ضباط الثورة يقدرونه لعلمـه وثقافته ورجاحة فكره. وكان هـو من جانبه قد أعجب بهم وقال فيهم قولته الشهيرة: لأول مرة تحكم مصر بأبنائها.

هـذا هو أحمد لطفى السـيد الـذى كان يعيش دائما فى المسـتقبل، ويرفض أن يعيش فى الحاضر أو الماضي. وامتد عمره إلى ٩١ عاما، عاصر خلالها الاحتلال والاسـتقلال والنفوذ العثمانـى والحكم المصرى وحضر حربين عالميتن وكان شاهدا على ثورتين هما ثورة ١٩١٩م وثورة ١٩٥٢م. ولذلـك يسـتحق أن نقول عنه إنه أسـتاذ الجيل.. حامـل لواء النهضة والإصلاح والتنوير. بل وحبه لبلده بالانتماء وقوله: مصر للمصريين.

٢ - كتبه ومؤلفاته:

– قصة حياتى، وهى عن سـيرته الذاتية. وقد نشرته له دار الهلال بالقاهـرة فى كتاب الهلال عام ١٩٦٢م عن حياته، ثم أعيد نشـره بعد وفاته فى عام ١٩٨٢م.

– تأمـلات فى الفلسـفة والأدب والسياسـة والأجتماع نشـرت دار المعارف عام ١٩٤٦م.

– صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية فى مصر نشرت دار المعارف عام ١٩٤٦م.

– المنتخبات.. الذى جمع مادته وأخرجه للناس إسماعيل مظهر وهو يضم المقالات التى كتبها لطفى السيد فى جريدته «الجريدة» وقد نشرته مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٣٧م. وقد أعيد طبعه بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر عام ١٩٤٥م.

– صحيفة الجريدة.. كان يرأس تحريرها وكان عمره ٣٥ سنة منذ عام ١٩٠٧م وحتى عام ١٩١٤م عندما تركها وعاد إلى القضاء. وكان ينشر فيها آراءه عن المرأة المصرية فى مختلف أدوار حياتها وديناميات تنشئتها وتربيتها وقد ختم مقالاته فيها عن المرأة وعن المرأة فى البلاد العربية ثم الحر كة النسائية فى مصر.

ومن أهم الكتب التى قام بترجمتها نذكر:

– الأخلاق إلى نيقوماخوس: ترجمة من اليونانية إلى الفرنسية «بارتلمى سانتهلير» ثم ترجمة أحمد لطفى السيد من الفرنسية إلى العربية عام ١٩٢٤م عندما كان مديرا لدار الكتب المصرية. وهو من أهم كتب أرسطو...

– الكون والفساد لأرسطو أيضاً عام ١٩٣٢م وكذلك ترجمة جزءا من كتاب الطبيعة عام ١٩٣٥م وكتاب السياسة لأرسطو عام ١٩٤٧م وهو بذلك يكون قد فتح نافذة للثقافة والفلسفة الغربية وخاصة اليونانية على المجتمع المصرى خاصة والعربى والإسلامى عامة. ينهل منها المفكرون والمثقفون المصريون مما كان له كبير الأثر فى الفكر المصرى والثقافة المصرية فى مجال العلم والفلسفة.

ومن الجدير بالذكر أن هناك بعض المثقفين والمفكرين المصريين من تلاميذ أحمد لطفى السيد أو أصدقائه أو أحبائه فى الفكر والثقافة

قد كتبوا عن لطفى السيد ومن هؤلاء الدكتور / حسين فوزى النجار الذى كتب كتاب بعنوان أحمد لطفى السيد وقام بطبعه ونشره الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٧٥م، كما قام مجموعة من المفكرين والمثقفين المصريين بإعداد كتاب أيضاً بعنوان «كتاب تذكارى عن أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد» نشرته له لجنة الفلسفة والإجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة وطبعته الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية عام ١٩٨٦م. وقدم للكتاب الدكتور يحى هويدى. من الذين أسهموا بفكرهم وآرائهم عنه الدكتور إبراهيم مدكور والدكتور محمد عاطف العراقى والدكتور حسين فوزى النجار والكتورة سامية الساعاتى والدكتورة أميرة حلمى بقطر. وكانت كتاباتهم وآرائهم تفيض بالحب والتقدير لأستاذ عظيم هو أحمد لطفى السيد.

٣ - آراؤه وأفكاره:

مع تطور الأحداث السياسية التى مرت بها مصر بعد فشل الثورة العربية ودخول الاحتلال البريطانى إلى مصر عام ١٨٨٢م، بدأ الأحتلال البريطانى يجثم على صدور المصريين ويسلبهم حرياتهم.. بدأت أحداث جديدة ومشكلات متعددة تظهر فى مصر، قابلها بعض المفكرين المصريين بشىء من الاهتمام والتفاعل سواء بالرأى أم الفكر أم المقاومة الفعلية على كافة المستويات الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الفكرية.

وكان أحمد لطفى السيد من أبرز بل ومن أوائل من واجهوا وضع الاحتلال الجديد بالفكر والعمل والمقاومة مما انعكس ذلك على فكرهم

وآرائهم التى أدت فى نهاية الأمر إلى بعث اليقظة وإذكاء شعلة الحياة الحرة فى نفوس المصريين وقد برز ذلك بشكل خاص فى ثورة ١٩١٩م ثم ثورة ١٩٥٢م.

وسوف نعرض فيما يلى لفكر وآراء أحمد لطفى السيد عن التعليم والتربية والمرأة والثقافة والسياسة.

أ - آراؤه فى التعليم والتربية:

عاشت مصر فترة ظلام فكرى وعقلى بعد عصر محمد على وحتى نهاية حكم الخديو عباس عندما عاد لطفى السيد من جنيف وكتب رسالة إلى الخديو عباس يقول له فيها «إن مصر لا يمكن أن تستقل إلا بجهود أبنائها، وأن المصلحة الوطنية تقضى أن يرأس سمو الخديو حركة شاملة للتعليم العام» فالتعليم كما يراه هو مرقاة الأمم إلى التقدم وسبيلها إلى النهضة.

وبتأثير من مصطفى كامل، وأحمد لطفى السيد، كان التعليم مما أجمعت عليه قلوب المصريين وعقولهم. وكان التفكير فى التعليم والعمل على نشره والارتقاء والنهوض بوسائله وطرقه ومناهجه بعض ما شغل قلوب المصريين وعقولهم - كما قلت آنفا - فالجانب العاطفى والجانب العقلى بالإضافة إلى الجانب العلمى فى حاجة إلى فلسفة فى التربية هى التى تنير الطريق للتعليم، وكان لطفى السيد هو الذى أضفى فلسفته العقلية على هذه الجوانب الثلاثة. مع ملاحظة أن فلسفته التربوية كانت امتدادا لآراء رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك والأفغانى ومحمد عبده.

وكان رأى لطفى السيد فى التعليم والتربية يتلخص فى أن رقى الأمة ونهضتها ليس فقط فى خصوبة الأرض اعتدال المناخ، وإنما فى عدد المعلمين من أبنائها الذين يقومون ببناء دولتهم بعقولهم وعلمهم.. وهذا هو الذى يؤدى إلى رقى الصناعة والتجارة وتحقيق الثروة والمنفعة لأفراد الشعب.

لقد عاش لطفى السيد طوال حياته متنقلاً بين السياسة والتعليم حيث كان يعود إلى مقاعد العلم والتعليم كلما أرهقته السياسة ويرغب فى إراحة عقله أو ضميره.. ولذلك يقال عنه إنه عاش حياته سياسيا بفكره، ومعلما بوجدانه وطبيعته.

وكان يرى أيضا أن التعليم هو القوة أو الطاقة التى تؤدى إلى نهضة الأمم.. وأن أشرف ما تهدف إليه مصر بل والأمم كلها هو تحقيق استقلالها التام.

ومن أجل تحقيق ذلك نادى بفتح أكبر عدد من المدارس الثانوية لكى تخرج أكبر عدد من الطلاب الذى يعملون من أجل رفعة ونهضة وطنهم من كافة نواحى الحياة.

وكان من رأيه أيضا أن لا يقف الأمر عند الدعوة إلى نشر التعليم، بل يجب أن يتعدى ذلك إلى طرق التربية الحديثة التى أغفلتها الحكومة. فالتربية مع التعليم تحقق التوازن بين العقل والجسم حيث ينموان معا وبنفس المقدار حتى يتحقق التوازن بين ملكات أو قدرات الإنسان. ويجب على الأمة أن تعنى وتهتم دائما وفى نفس الوقت بالعلوم العقلية والرياضة البدنية والفنون الجميلة فذلك كله يحقق أو يخلق الانسان القادر على تحقيق مصلحة ومنفعة بلده.

وكان لطفى السيد يرى أنه يجب على الأمة أن تختار مذهب التربية المناسب لحالها واستعداداتها. فالتعليم والتربية عنده يهدفان إلى خلق النشىء بصبغة المجتمع الذى ينتمون إليه فى عاداته وتقاليده وميوله وإخلاقه وعلى الجملة بثقافته الخاصة.

وكان يرى أيضا أن انشاء الكتاتيب لتعليم التلاميذ الصغار لا يقل أهمية عن انشاء الجامعة لتعليم الكبار. وقد شهدت مصر خلال ذلك نهضة تعليمية شاملة على المستوى الحكومى والمستوى الأهلى. وقد تولى هو إدارة الجامعة لفترة طويلة ربما زادت على عشرين عاما هاديا ومرشدا للشباب والشابات حيث سمح ولأول مرة بدخول الفتاة المصرية إلى الجامعة لتلقى العلم جنبا إلى جنب مع الشباب. حيث تم وضع الأساس للجامعة فى ٣٠ مارس عام ١٩١٤م واستمرت الجامعة وتطورت حتى أصبحت كما نراها اليوم فى القاهرة والأسكندرية وأسيوط وغيرها من المحافظات المصرية. وظل يتردد اسم لطفى السيد بين جنبات الجامعة فى كل مكان فى مصر باعتباره أحد الرواد الذين أسسوا الجامعة المصرية.

ب - آراؤه فى المرأة:

كانت آراء وأفكار جمال الدين الأفغانى ومن بعده تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده. الإصلاحية التحرر به من أجل النهوض بالمجتمع المصرى وإزالة الجمود الفكرى والدينى أكبر الأثر فى كثير من تلاميذ الشيخ والإمام وأتباعهما، الذين أصبحوا بدورهم أصحاب مدارس إصلاحية فكرية ينهجون فيها طبقا لتعاليم وأفكار الشيخ

والإمام فى إصلاح وتطوير المجتمع المصرى. وقد تمثلت هذه المدارس الأصلاحية فى:

- المدرسة الاجتماعية.. ويقود لواءها قاسم أمين.
- المدرسة السياسية.. ويقود لواءها سعد زغلول.
- المدرسة الثقافية أو الفلسفية.. ويقود لواءها أحمد لطفى السيد.
- المدرسة الدينية.. ويقود لواءها مصطفى المراغى.

وقد أثرت هذه المدارس الإصلاحية وأصحابها فى عدد كبير من المثقفين والمفكرين المصريين جاءوا بعدهم مثل على عبد الرازق وطه حسين وأمين الخولى وأحمد أمين وغيرهم.

وقد كانت دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة من أبرز وأهم الدعوات الإصلاحية فى ذلك الوقت. وعندما أصدر كتابه عن تحرير المرأة قاطعه كثير من أفراد المجتمع حتى إن بعض أفراد الطبقة الأرستقراطية حرموا عليه دخول بيوتهم، وأتهمه بعض رجال الدين المتزمتين بأنه بدعوته تلك لتحرير المرأة قد خرج على تعاليم الإسلام.

ولكن وفى خضم هذه المقاطعة لدعوة قاسم أمين وقف أحمد لطفى السيد إلى جانبه وساانده ودعم دعوته فى الواقع بأن سمح للفتاة المصرية ليس فقط بدخول المدارس وإنما أيضا بدخول الجامعة المصرية التى كانت قد افتتحت حديثا. وقد تنبأ لطفى السيد بأنه لن تمر خمسون عاما إلا والمرأة تتبوأ أعلى المناصب فى الدولة، حيث تولت المرأة منصب الوزيرة فى إحدى حكومات جمال عبد الناصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م.

لقد كان لطفى السيد بذلك النهج فى الفكر والعمل من رواد تحرير المرأة – مع قاسم أمين – والذين دعوا إلى تعليمها منذ الصغر وفتح

المدارس أمامها لكى تتعلم ويتم إعدادها من خلال المناهج الدراسية لكى تكون إنسانة حرة ذات مبادئ وقيم عليا وأخلاق حميدة.

ولقد ضمن لطفى السيد كتابه «المنتخبات« مجموعة من المقالات كان قد نشرها فى جريدة «الجريدة» تبرز رأيه وموقفه من المرأة وكان عدد هذه المقالات حوالى عشر مقالات تحدث فيها عن الأطوار أو المراحل التى تمر بهـا فى حياتها.. فهى ابنة، وأخت، وزوجة، وأم، ومربية، ومعلمة، وعاملة داخل المنزل وخارجه. كما تحدث أيضا عن التنشئة الاجتماعية للمرأة.. والفرق بينها وبين الولد فى عملية التنشئة، وأهمية تعليم المرأة وإعدادها تربويا واجتماعيا.. وكان يرى أن تربية المرأة سواء داخل الأسرة أم خارجها فى المدرسة أم الجامعة ركيزة من ركائز إصلاح الأسرة.. وفى صلاح الأسرة.. يكون دائما صلاح المجتمع أو الأمة بأسرها.

ويطالـب أحمد لطفى السـيد بأن نمزج فى تربية المـرأة بين التعليم الحديث، وبين الأخذ بالعادات والتقاليد والأعراف المصرية.

وعلـى الجانب الأخر نراه يتصدى وينتقد هؤلاء الذين يطالبون بعدم توغل المراة فى تعلم العلوم، وخاصة أصحاب التوجهات المحافظة، وأن تعلم العلوم هو خاص بالشبان فقط.

كما يطالب لطفى السيد بضرورة تربية المرأة تربية معنوية لكى ترقى بالنفس أو بالروح فإن ذلك يجدد عقلها وينيره ويجعلها إنسـانة خليقة بصحبة زوج كفء طوال الحياة.

كمـا كان يرى أيضا أن التربية هى وسـيلة مهمـة لتقريب أو تضيق الفجـوة بين البنات والبنين، حتى لا يحجـم الأبناء عن الزواج منهن.

وحتى يكون الزواج مرجوا فيه جانب السعادة على جانب الشقاء. أى حتى يكون الزواج قائما على السعادة وليس على الشقاء.

وفى كتابه «المنتخبات» يتوج لطفى السيد مقالاته عن المرأة بمقالة جامعة رائعة عن الحركة النسائية فى مصر.. يذكر أهدافها وأهم العقبات التى واجهتها، وظروف نجاحها حتى أصبحت حقيقة واقعة لا جدال فيها.

ولا ينسى لطفى السيد فى كتابه «المنتخبات» أن يتناول برأيه المرأة فى البلاد العربية، ومع نقده لها بتأخرها فى طلب التعليم، إلا إنها برغم ذلك لم تفقد استقلالها ولم يمت فيها ملكة الإرادة، وهذا فى رأيه ما يجعلها خليقة بأن تكون أكثر طلبا للعلم والتعليم فى المستقبل.. مثل الرجل.. وهذا ما حدث لها بالفعل الآن. حيث تقدمت الصفوف الآن وأصبحت تزاحم الرجل فى كل نواحى الحياة التعليمية والفلسفية والسياسية والثقافية.

وهكذا يمكن القول أن لطفى السيد قد استطاع أن يخلد اسمه بأفكاره التقدمية عن تعليم المرأة المصرية وتحقيق المساواة والحرية الشخصية لها.. قولاً وفعلاً.. فكراً وعملاً.. وقد تحقق له ما رآه واستشرف به المستقبل عن المرأة.. فهى الآن فى أوج مراتبها.. مع الرجل، صفوان، يدا بيد.. لتبنى معه تقدم الوطن ونهضته.

جـ - آراؤه الثقافية والفلسفية:

فى عصر لطفى السيد مع بدايات القرن العشرين كانت هناك قضية فكرية أو ثقافية مهمة مثارة بين المفكرين أو المثقفين المصريين ألا وهى

قضيــة الأصالة والمعاصــرة.. حيث كان هناك المحافظــون على التراث المصرى القديم.. وهناك أيضا المحدثون الذين يرون بالأخذ بالجديد من فكر وفلسفة وحضارة الغرب.

ولكن لطفى الســيد فتح طريقا ثالثــاً لتلك القضية.. ويرجع ذلك فى نظرنا إلى أنه قد تأثر كثيرا فى تنشــئته الثقافية بالفكر المصرى والعربى المشــوب بصبغة الدين الدين الإســلامى، ثم هو قد سافر إلى أوربا وعاش بها فترة فتأثر بالفكر والفلســفة والحضارة الغربية. وقد اســتطاع لطفى الســيد بشــخصيته المرنة أن يمزج بين الفكر المصرى والعربى (الأصالة) والفكــر الغربى (المعاصرة).. وهذا هو الطريــق الثالث الذى فتحه لطفى السيد ألا وهو المزج بين الأصالة والمعاصرة. وقد ساعده ذلك على ترجمة بعض كتب أرسطو، كما استطاع أن يدخل دراسة أرسطو خاصة والفكر والفلسفة الغربية عامة إلى مناهج التدريس فى المدارس الثانوية والجامعة المصريــة. وقد تأثر بذلك النهج الكثير مــن المفكريين والمثقفين المصريين وعلى رأسهم طه حسين وحسين فوزى وتوفيق الحكيم وغيرهم.

لقد كان هذا المزج هو عبارة عن محاولة من لطفى السيد للربط بين فكر وتعاليم أرسطو من جهة، وثقافتنا المصرية والعربية من جهة أخرى.

لقد كانت ترجمة لطفى الســيد لكتب أرســطو أثر كبير فى تشــكيل الثقافة المصرية، مع الاعتبار بأن هذه الترجمات هى تعبير عن التنوير، ولذلك يعتبر لطفى السيد من رواد حركة التنوير فى مصر المعاصرة.

وإلى جانــب ذلــك كان يرى أيضا أن الجامعــة المصرية التى تدرس فلســفة أرسطو وغيره من مفكرى الغرب، لها دور بارز وتأثير عميق فى

تشـكيل الثقافة المصرية، وإثراء حياتنا الفكرية أو الفلسـفية وعلى ذلك فـإن لطفى السـيد كان يريد أن يبث فينا حركـة الاحياء.. ليس إحياء ماضى تراثنا، بل إحياء الثقافة المصرية عن طريق التعرف إلى فكر الغرب القديم من خلال ترجماته لأرسـطو، ومن خلال دراسـته لفلسـفة بنتام وجون سـتيوارت فى الغرب الحديث، ومن خلال تأثره بفكر وفلسـفة الأفغانى ومحمد عبده فى مصر والشرق. كما حدث من ترجمات الكتب اليونانية أيام العباسيين.

لقـد كان لطفى السـيد مفكرا بارزا ومثقفا متميـزا مثل هؤلاء وأولئك فى الغرب والشـرق ووضع بصماته الواضحة والمؤثرة على فكرنا وثقافتنا المصريـة الحديثة بل والمعاصـرة. حتى إن بعـض الباحثين فى العصر الحديث ينسـبون إليه تأثره بفكرة «الليبرالية» حيث سـعى إلى تأصيل «الليبراليـة» الغربية معتمدا فى ذلك على ترجمته لكلاسـيكيات الفكر الأوربـى، وخاصة مؤلفات أرسـطو فى السياسـة والأخلاق، كأسـاس لتأصيـل الليبراليـة فى ثقافتنـا المصرية. كما كان يـرى أن المنفعة هى أساس الحكم وليس الدين.

وهكذا يمكن اعتبار لطفى السيد من كبار دعاة أو رواد حركة الإصلاح والتنوير والليبرالية فى ثقافتنا المصرية بل والعربية أيضا.

د – آراؤه السياسية:

بدأ لطفى السـيد حياته السياسـية أثر تخرجه من مدرسـة الحقوق، عندما سعى إلى إنشاء جمعية سرية كان أهم أهدافها هى: تحرير مصر.

وعندما عاد من سويسرا، التحق ثانية بوظيفة فى النيابة إلا أنه استقال منها عام ١٩٠٥م وعمل بالمحاماة فترة قصيرة حيث استقال من المحاماه لكى يشتغل بالسياسة والصحافة حيث اشترك فى تحرير جريدة «الجريدة» التى كانت المنبر الذى يطل منه لطفى السيد معبرا عن آرائه فى السياسة والتربية والثقافة والمرأة. وكان ذلك فى عام ١٩٠٧م حيث كان عمره ٣٥ عاما وقد نضج عقله وفكره.

وتقدم لطفى السيد فى العمل السياسى، كما تقدم فى العمل أو الحقل الفكرى والفلسفى. وكان دائم التنقل بين مقاعد السياسة ومقاعد الفكر. وقد عاش حياته سياسيا بفكره، ومعلما بوجدانه وطبيعته. وفى ميدان السياسة كان معلما أكثر مما كان سياسيا، حيث أقام مذهبا للسياسة، كما وضع قواعد حزب جديد هو: حزب الأمة، كان الهدف منه هو تحقيق الاستقلال لمصر من الاحتلال البريطانى.

لقد درس لطفى السيد السياسة ودرسها، ومارسها فكرا وعملا واشتغل بها عندما قام بإنشاء جمعية سرية مع مجموعة من أصدقائه، ثم قام ايضا بتأليف حزب جديد مع مجموعة أخرى من أصدقائه أيضا، وكذلك عندما رشح نفسه للانتخابات التشريعية عن دائرة بلدته.

وكان فكره السياسى، بل والسياسة بأكملها مختلفة عن الآخرين فهى عنده وسيلة لتطبيق الفكر.. وركيزتها أو دعامتها الأخلاق. ويرجع ذلك إلى تربيته وتنشئته الاجتماعية والثقافية فى بلدته ودراسته، وفى مصاحبته لدعاة الإصلاح والتنوير كالأفغانى ومحمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين وغيرهم.

و تتمحور الآراء السياسية عند لطفى السيد حول ثلاثة محاور هى: الحرية، الديمقراطية، القومية.

– الحرية: هى أغلى وأعز وأسمى ما يطلبه الأنسان فى حياته. فالإنسان لا يعيش فقط بالخبز، ولكن يعيش أيضا بالحرية فهى غذاء العقول والقلوب. ولا يمكن اكتساب الحرية بالكلام ولكنها تكتسب بالممارسة والاشتغال. وعند لطفى السيد معنيان للحرية:

– **الحرية الفلسفية:** أو كما سماها هو «الحرية العلمية» وهى الحرية باعتبارها قيمة من قيم الحياة مثل الخير والحق والجمال.

وهى بذلك تعتبر سلوك فكرى يجب أن ينتشر بين كل الناس، ويجب أن يتحلى كل إنسان بها لأنها فى النهاية تعوده على التمسك بها وأن يعبر بها عن رأيه.. فهى بمعنى آخر «حرية الرأى» التى يجب أن يتحلى العلماء والصحفيون بها فى الدفاع عن آرائهم ومعتقداتهم.

وهذه الحرية التى كان يقصدها لطفى السيد كرجل سياسة هى التى تجعل من الإنسان.. كرامة وحرية. وهذا يخلق فى الإنسان الشعور بالرضا والانتماء، اما عكس ذلك فلا تتوقع من الإنسان إلا النفور وعدم الأستجابة.

– **الحرية السياسية:** هى التى يشترك كل فرد من خلالها فى حكومة بلاده اشتراكا تاما كاملا، وهذا معنى ما نسميه بسلطة الأمة. وعلى ذلك نجد أن لطفى السيد يفرق بين نوعين من الحكم.

الحكم الشخصى أو الحكومة الشخصية، والحكم النيابى أو الحكومة النيابية. والنوع الأول هو الحكم أو الحكومة الاستبدادية. والنوع الثانى

هــو الحكم أو الحكومة الدســتورية. هو يفضل بالطبــع النوع الثانى من الحكم أو الحكومة لأنها تكون دائما حكومة الشــعب الذى يصبح مصدر للسلطات.

وطبقــا لهذين النوعين من الحكم أو الحكومة فتحدد علاقة الحكومة بالمحكومين.

وطبقا لذلك ايضا يكون هناك اتجاهان لهذه العلاقة فإما علاقة اتكال الأفراد على الحكومة تفعل لهم كل شــىء. وهو يطلق على هذا الاتجاه «طريــق الجماعيين» أى اعتماد الجماعة أو الأمــة كلها على الحكومة. أمــا العلاقة الثانية فهى قيــام أفراد الأمة بأعمــال تخصهم إلى جانب أعمال الحكومة التى تقوم بها لصالح الأفراد وهو يطلق على هذا الاتجاه «طريق الحريين» وهى الترجمة التى قبلها لكلمة «الليبرالين» وهو يفضلها على كلمة «الأحرار» وطريق الحريين هو «المذهب الفردى» فى الفلســقة الغربيــة. وفى مذهب الجماعيين يكون الفــرد لصالح الجماعة، أما فى مذهــب الحريين أو المذهب الفــردى، فالفرد له قيمة فى ذاته ولا داعى للتضحية بالفرد من أجل الجماعة. ومن هنا كان لطفى الســيد من دعاة الحرية أو الليبرالية فى السياسة وفى التعليم وفى الاقتصاد.

– **الديمقراطية:** طبقا لأرائه فى الحرية وتفضيله للحرية الفردية أو الليبرالية، و كانت الديمقراطية عنده تتماشــى مع نزعة الحرية الفردية عنــده. فالديمقراطية عنده هى ديمقراطية فكرية، لم تكن من النوع الذى يقف مع الأغلبيــة، ولا يعادى الأغلبية، وإنما هى ديمقراطية تعبر عن حرية الفرد فى إبداء رأيه والدفاع عنه.

وهــو أيضا لا يؤمن بالعنــف والثورة طريقا للتغيــير كما كان ينادى الأفغانى، وإنما كان يؤمن بالتطور التدريجى بإنشــاء الســلام فى الوطن كما كان يؤمن الشيخ محمد عبده.

والديمقراطيــة عنده أيضا تعنى المشــاركة فــى الحكم من المواطنين، ولا يعنى ذلك تولى الســلطة. وإنما تعنى المشــاركة بالرأى والمشــورة فى أمور الوطن.

كذلك الديمقراطية عنده هى الديمقراطية الليبرالية، وليست الديمقراطية الاشــتراكية التى طبقتهــا الدولة فى الســتينات. والديمقراطية الليبرالية تختلف عن الديمقراطية الاشتراكية فى أمرين أساسيين:

– تقديم الفرد على المجتمع.

– عدم تدخل الدولة فى شــئون حياة الأفــراد إلا فى ثلاث نواحى فقــط تقوم بها الدولة وهى الشــرطة، والجيش، والقضاء. وما عدا ذلك فلا دخل للحكومة فيها، وإنما هى للأفراد يفعلون ما يشائون طبقا لمبدأ الحرية الفردية أو الليبرالية (القطاع الخاص).

وعلى ذلك نجد أن لطفى الســيد يعتبر دعوته للديمقراطية الليبرالية هى من قبيل خطوات التحديث والعمران فى مصر المجتمع، وخطوات تحرير الفرد من أجل إعلان شأنه وتعظيم إرادته الحرة.

– **القوميــة:** تتمثل فكرته ودعوته للقومية فى عبارته الشــهيرة: مصــر للمصريين. مخالفا بذلك تلك الدعوة التى كانت تنادى بإنشــاء «الجامعة الإسلامية».

وكان يعنــى بدعوتــه هذه أن تكون مصر مســتقلة عن نفــوذ الدولة العثمانيــة فــى مصر، ومســتقلة ايضا عن نفوذ واســتبداد الخديو الذى

هــو امتداد لنفوذ واســتبداد الدولة العثمانية. وكذلــك تكون مصر أيضا مســتقلة عن بريطانيا والاحتلال البريطانى لمصــر. وهكذا كان يعتقد أن اســتقلال مصر التام لا يكون إلا بالاستقلال عن هذه السلطات الثلاث: العثمانيون، والخديو والأنجليز.

ويرى لطفى الســيد – وبحق – إن الشخصية القومية لمصر، لا يمكن أن تتحقق إلا بالدستور. فالدستور هو الإطار الذى يجمع الوطن والمواطن، وهــو الوعاء الذى نتنفــس فيه جميعا.. الحرية والاســتقلال.. فالقومية معناها عنده أن نكرم أنفسنا ونكرم وطننا.

ولهذا اشــترك لطفى الســيد فى ثورة ١٩١٩م مع ســعد زغلول.. ثم نادى بالأستقلال والحرية.. والدستور حتى تحقق دستور ١٩٢٣م.

وأخيرا.. هذا هو أحمد لطفى السيد من خلال سيرته الذاتية وكتبه وآرائه فى السياســة والمرأة والثقافة والتربيــة والتعليم.. وهى آراء إن جاز لنا القول الآن فهى تعيش بيننا حتى الآن وتدعو لها بالمزيد حتى لكأن الإنسان..

يشــعر أن لطفى الســيد ما زال حيا بيننا.. وتلك هى شــيم الرجال العظام.. ولذلك فهو يستحق.. أستاذ الجيل.

٤- ملاحظات نقدية:

مع كامل تقديرنا لآراء مفكرنا لطفى السيد التى عرضنا لها سابقا فى التعليم والتربية والمرأة والثقافة والسياســة والتى كان لها أعمق الأثر فى أحداث التغيــير والتطور فى المجتمع المصرى فكراً وعملا.. بين الأفراد

وبعضهم، وبين الأفراد والحاكم أو الحكومة.. بل وبين التيار الوطنى من المفكرين والمثقفين المصريين من جانب والخديو أو الحاكم والاحتلال البريطانى من جانب آخر.

إلا إنه – مع ذلك – يمكن إبداء بعض الملاحظات على تلك الآراء وهى لا تقلل فى نفس الوقت كما ذكرنا من قيمة هذه الآراء وفعاليتها.

أ – مع أن لطفى السيد دعا إلى تحرير المرأة عن طريق التعليم والتربية وساند ودعم دعوة قاسم أمين فى ذلك الأمر، ومع أن المرأة المصرية فى عهده قد حصلت على كثير من حقوقها فى التعليم بكافة مراحله وفى الجامعة، إلا إنه لم يساند فكرة دخول المرأة «مجمع اللغة العربية» الذى كان رئيسا له لفترة من الزمن، ومع إنها قد حصلت على أعلى الدرجات العلمية فى تخصصها ونذكر فى ذلك كل من الدكتورة سهير القلماوى والدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ». وقد ظلت المرأة بعيدة عن المجتمع حتى الآن.

ب – أراد لطفى السيد تأصيل الليبرالية الغربية خاصة والفكر الغربى عامة فى الثقافة المصرية معتمداً على ترجمة بعض كتب أرسطو فى السياسة والأخلاق، إلا إنه لم يضع اعتبارا للبناء التقليدى للمجتمع المصرى الذى كان يحكمه الدين وبعض العادات والتقاليد التى كانت تعوق إرساء الفكر الليبرإلى فى الحياة المصرية خاصة، بل والعربية عامة. هذا الأمر الذى فطن اليه طه حسين من بعده وعمل على إزالة هذه العوائق وطالب بتغييرها أو حتى تفكيكها حتى يتاح للفكر الغربى أن ينشر بذوره فى الحياة الثقافية المصرية والعربية.

جـ – بالرغم من أن لطفى السيد تتلمذ على يد كل من الأفغانى ومحمد عبده فى مدرسة الإصلاح إلا إنه لم يأخذ جانب الأفغانى فى الثورة على الأوضاع القائمة، وأخذ جانب محمد عبده فى الإصلاح عن طريق التغيير والتدرج فى التطوير. إلا أن موقفه هذا قد يختلف مع تأيده لثورة ١٩١٩م وثورة ١٩٥٢م والذى كان من أشد المؤيدين لها، بل إنه شارك بالفكر والعمل فى ثورة ١٩١٩م مع سعد زغلول.

د – حدد لطفى السيد مهام الحكومة فى ثلاث ولايات هى الأمن الداخلى، والقضاء، والدفاع عن الوطن، وفيما عدا ذلك من مهام فإن الحكومة نالها الفشل. وثبت لنا بالتجربة والواقع إن الحكومة قد نجحت أيضا فى مشروعات مثل استصلاح الأراضى البور والزراعة والصناعة والتجارة وإدارة المشروعات الكبيرة والتعليم وغير ذلك.

هـ – دعوته لتطبيق الديمقراطية الليبرالية وأن الأمة مصدر السلطات بالاشتراك فى الحكم بابداء الرأى وليس بتولى السلطة.. هذه الدعوة لم تتحقق حتى الآن من مرور حوالى ٥٠ عاما على مناداته بها وبالرغم من التطور والتغير الذى حدث فى المجتمع المصرى، بل والعربى أيضا. وفى الحقيقة لا يرجع ذلك إليه وإلى دعوته، وإنما يرجع ذلك إلى الظروف والتغيرات التى مر بها المجتمع المصرى والعربى، وإلى الحكام

والمحكومون... فالحكام لا يرغبون فى التغيير والتطور، والمحكومين.. لا يناضلــون من أجل الحصول على حريتهم السياســية التى نادى بها لطفى السيد.

تلــك هى بعض الملاحظــات النقدية على آراء مفكرنا لطفى الســيد ولكنهــا – كما ذكرنا – لا تقلل من جهوده وفكره وعمله الدءوب لصالح ومنفعة الوطن والمواطنين.

❑❑❑